**دراسة الحالة 20**

**الصون وتوليد الدخل من خلال استكشاف أسواق جديدة للقماش المُنتج تقليدياً في أوغندا**

ينتج شعب بوغاندا (Buganda)، منذ القرن الثالث عشر، قماش اللِحاء الذي يُصنع تقليدياً من لِحاء نوعٍ نادرٍ من شجر التين يُعرف محلياً باسم "موتوبا" (Mutuba)، في المنطقة التي تُعرف اليوم بجنوب أوغندا، وأيضاً في مملكات بونيورو (Bunyoro) وبوسوغا (Busoga) وتورو (Tooro).

ويُنزع اللحاء عن أشجار موتوبا على نحوٍ يراعي مبدأ الاستدامة، ويُدّق بواسطة مطرقة خشبية ليصبح مسطّحاً، ويُمدّد ثم يُجفف تحت أشعة الشمس. وتُحمى الأشجار بعد الحصاد بأوراق شجر الموز التي تُلفّ حول الجذع. ويمكن الحصول على قطعة قماش لحاء بحجم 3-4 أمتار مربّعة من قطعة لحاء بحجم 1.5 متر مربّع. وقد جرت العادة على استخدام قماش اللحاء لأغراض منزلية متعدّدة، مثل صناعة الستائر والشراشف والناموسيات. وكان أيضاً وسيلة مقايضة، فكان المزارعون يقدمونه إلى الزعماء المحليين كوسيلة للسداد. وما زال قماش اللحاء مُستخدماً حتى اليوم على نطاق واسع في الملبوسات، فيرتديه الرجال والنساء على حدٍ سواء على شكل سارونغ (sarong)، وكذلك في المناسبات الخاصة مثل مراسم الدفن وتتويج الملوك. وفي الحالة الأخيرة، يُصبغ قماش اللحاء ليشير إلى مكانة الملك الاجتماعية الرفيعة المستوى.

**التصدي للتهديدات المحدقة باستدامة صناعة قماش اللحاء**

أدّى إدخال التّجار العرب الأقمشة القطنية إلى أوغندا، في القرن التاسع عشر، والتحضّر المتزايد في هذا البلد خلال القرن العشرين إلى تراجع استخدام قماش اللحاء. ويحتلّ منتجو قماش اللحاء في أوغندا مكانةً اجتماعية متدنية، على الرغم من أن عملهم يتطلّب درجةً عاليةً من التخصّص. ولذلك، فقدت صناعة قماش اللحاء قيمتها ولم تعد خياراً مهنياً يجذب الأوغنديين الشباب. إلا أن العقود الماضية شهدت إحياء استخدام هذا القماش، وقد تعززت مكانته المحلية نتيجةً للاعتراف الدولي الذي يحظى به.

وفي عام 2005، أعلنت اليونسكو تقليد صناعة قماش اللحاء من روائع التراث الشفهي وغير المادي للبشرية. وفي شهر كانون الأول/ديسمبر 2007، أُطلق مشروع تجريبي يمتدّ على مدى سنتَين لإحياء صناعة قماش اللحاء في أوغندا وصونها، وذلك في إطار الصندوق الاستئماني المشترك بين اليونسكو واليابان "لصون التراث الثقافي غير المادي وتعزيزه"[[1]](#footnote-1). وفي عام 2008، أُدرج هذا العنصر في القائمة التمثيلية.

وفيما يلي بعض أنشطة الصون التي نُفّذت في إطار هذا المشروع:

* توثيق الأنواع الملائمة من شجرة موتوبا واستخداماتها؛
* زراعة أشجار موتوبا لضمان توافر المواد الأوّلية في المستقبل؛
* تدريب الشباب على إنتاج قماش اللحاء؛
* وضع برنامج لزيارة المتاحف، يستهدف المدارس بشكل خاص؛
* استكشاف إمكانية الحصول على الحماية القانونية من خلال تسجيل قماش اللحاء كعلامة تجارية مثلاً؛
* تشجيع استخدام قماش اللحاء في الإنتاج الحرفي؛
* التأسيس لعملية إصدار شهادات في إطار نظام التعليم المهني الوطني للاعتراف بمهارات صناعة قماش اللحاء؛
* إعلام الرأي العام بصناعة قماش اللحاء من خلال البرامج الإذاعية وتنظيم معرض متحفي وإصدار نشرة.

وقد زُرع في إطار المشروع عدد من أشجار موتوبا، غير أن البعض منها تضرّر من جرّاء الجفاف. وأستُهل برنامج لزيارة المتاحف، فساهم في التوعية بأهمية عنصر التراث الثقافي غير المادي هذا. وجرى تدريب عدد أكبر من الشباب على صناعة قماش اللحاء وأُدخل هذا التدريب في منهج التعليم المهني. إلا أن المشروع لم ينجح في إعادة إحياء هذا التقليد بطريقة مستدامة وواسعة النطاق في المنطقة المعنية. ومن المشاكل التي طرأت، بطء توليد الدخل بفضل صناعة قماش اللحاء من أشجار موتوبا مقارنةً بالمحاصيل الأخرى التي تدر عوائد نقدية. وبالإضافة إلى ذلك، وبما أن قماش اللحاء ارتبط تقليدياً بالموت، فما زال من الصعب بيع المنتجات المصنوعة من قماش اللحاء في أوغندا.

**أسواق جديدة ومنتجات جديدة**

في مبادرةٍ منفصلة، استخدمت شركة تصميم أوغندية تحمل اسم "رويال بارك كلوث ديزاينز" (Royal Bark Cloth Designs)، أسّستها ساره كاتيباليروي (Sara Katebalirwe)، قماش اللّحاء في تصاميم حديثة. وأقامت شراكةً مع شركة تصميم هولندية لصناعة مجموعة واسعة من منتجات قماش اللحاء وتسويقها، ومنها حقائب يد وأغطية للوسائد وحقائب لأجهزة الكمبيوتر المحمولة. وتقوم شركة "رويال بارك كلوث ديزاينز" أيضاً بتقوية قماش اللحاء بطرائق ابتكارية ليصبح أكثر متانةً. وتُصمم المنتجات لأسواق التصدير وتُباع أيضاً كهدايا تقدّمها الشركات في أوغندا. وتوظّف الشركة حوالى ستين حرفياً، مع الإشارة إلى أن عدداً كبيراً منهم من الأمهات العازبات. وتولّد هذه المبادرة الدخل للمنتجين والمصمّمين المحليين، بالإضافة إلى المزارعين المحليين الذين ينتجون قماش اللحاء.

وبفضل مبادرة الأعمال هذه، وصلت ساره كاتيباليروي إلى الدور النهائي في جائزة كارتييه للمبادرات النسائية (Cartier Women’s Initiative) في عام 2010، وهي جائزة تُمنح للمشاريع التي تتميز بإبداعها وأثرها الاجتماعي. كما تسعى ساره كاتيباليروي لدى حكومة أوغندا إلى إصدار قانون بشأن المؤشرات الجغرافية وللتصديق على قماش اللحاء الأوغندي[[2]](#footnote-2).

وقد تساهم منتجات الشركة هذه في رفع مستوى الوعي الدولي بشأن المهارات والمعارف التقليدية المستخدمة في صناعة قماش اللحاء، فضلاً عن إسهامها في تعزيز الابتكار في مجال استخدام المواد التقليدية. وتؤمّن أنشطة الشركة أيضاً دخلاً مستداماً للمزارعين ومصنّعي القماش والمصمّمين والحرفيين المحليين.

ويشجّع تسويق قماش اللحاء الأوغندي على نقل المعارف والمهارات المرتبطة بصناعة قماش اللحاء التقليدي ضمن المجتمعات المحلية المعنية.

**لمزيد من المعلومات، انظر:**

اليونسكو، اللجنة الوطنية الأوغندية لليونسكو،  
Revitalisation of Bark Cloth Making in Uganda

1. اليونسكو، اللجنة الوطنية الأوغندية لليونسكو، "Revitalisation of Bark Cloth Making in Uganda". [↑](#footnote-ref-1)
2. S. Katebalirwe, ‘Bark Cloth from Uganda as a Potential GI Product’, ACP-EU Seminar, Cape Town, 10–11 May 2010. http://tradecomacpeu.com/resources/files/42/bark-cloth-from-uganda.pdf. [↑](#footnote-ref-2)